جماعة عباد الرحمن

نشرة خاصة ٥

من تفسير سورة الفاتحة

توزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ فضل سورة الفاتحة

عن أبي سعيد بن المُعلّى قال: كنتُ أُصلي في المسجد فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أُجبه. فقلتُ: يا رسولَ الله إني كنتُ أُصلّي. فقال: "ألم يَقُلِ الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال ٢٤. ثم قال لي: «لأُعلِّمَنَّكَ سورةً هي أعظمُ السُّوَرِ في القرآن قبل أن تَخْرُجَ من المسجد» ثم أخذ بيدي، فلما أرادَ أن يخْرُجَ قلتُ له: أَلَمْ تَقُل لأعلِّمنَّك سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآن؟ قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ هي السبعُ المَثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُهُ» (٤٧٤٤ فتح الباري، ٨/ ٦٥١).

❁ خصائص سورة الفاتحة

لسورة الفاتحة خصائصُ لا يشاركُها فيها غيرُها من السور، من ذلك:

أولاً: أنّها قد اشتملت على أصولِ ما جاء به القرآن الكريم من المقاصد في دعوته العالَمَ إلى الله تعالى.

قال الحسن البصري: «أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء أَوْدَعَ علومَها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أَوْدَعَ علومَ التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثم أَوْدَعَ علوم القرآن

المفصل ثم أَوْدَعَ علومَ المفصَّل فاتحة الكتاب؛ فمن عَلِمَ تفسيرَها كان كمن عَلِمَ تفسيرَ جميع كتب الله المنـزلة» (٢٣٧١ شعب الإيمان، ٢/ ٤٥٠).

ويمكن إحصاء مقاصد القرآن كله فيما يلي:

١ ـ التوحيد الكامل لله تعالى.

٢ ـ الاعتراف لله سبحانه وتعالى بكل صفات الكمال.

٣ ـ الاستسلام والانقياد لله سبحانه وحده دون سواه .

٤ ـ الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب الطائعين وعقاب العاصين.

٥ ـ تحذير الناس مما وقعت فيه الأمم بمخالفتها وعصيانها، وترغيبهم بما وعد الله تعالى المؤمنين من النعيم.

وهذه المقاصد هي جوامعُ ما نَزَلَ به القرآنُ، اشتملت عليها سورة الفاتحة بإيجازها البالغ، مع وضوح عباراتها، وعذوبة تراكيبها، وعلوِّ معانيها، لذلك سُمِّيَت «أُمَّ القرآن» و«أُمَّ الكتاب»، وكانت أفضلُ سورةٍ مِن سُوَرِ القرآن.

ثانياً: أنها جَمَعَت بين حقِّ الله تعالى من التوحيد والعبودية والافتقارِ له وحدَهُ في نِصفِها الأوّل، وبين حظِّ العبدِ ومطالبه من خيرات الدنيا والآخرة في نصفِها الثاني.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قالَ الله تَعالى قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْني وبَيْنَ عَبْدي نِصفَين، ولِعَبْدي

ما سَأَلَ فإذا قَال العبدُ: الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ، قالَ الله تَعالى: حَمِدَني عَبْدي. وإذَا قَالَ: الرَّحمنِ الرَّحيمِ، قَالَ الله تعالى: أَثْنَى عليَّ عَبْدي. وإذا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدي، وقالَ مَرَّةً ـ فَوَّضَ إليَّ عَبْدي ـ فإذا قالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ، قَالَ: هَذا بَيْني وبَيْنَ عَبْدي ولِعَبْدي ما سَأَلَ.

فإذا قَالَ: اهْدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الذَّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالِّينَ، قالَ: هذا لِعَبْدي، ولِعَبْدي ما سَأَلَ» (٣٩٥ صحيح مسلم، ١/ ٢٩٦).

ثالثاً: أنها ضمَّت في ثناياها، من بديع الثناء على الله تعالى ومدحه بجميل الصفات، والتقرُّب إليه بالعبودية، والتوسُّل إليه بخالص الدعاء الجامع لمصالح الدنيا والآخرة، ولدَفْعِ كلِّ سوءٍ ومكروه في الدنيا والآخرة، ما يصلح للتوجُّه به في المهمّات ؛ لأنَّ ذلك كلَّه يدخلُ في شمول هذه السورة وعمومها، لذلك وَرَدَ الدعاءُ بها للمريض، وسُمِّيَت الشافية.

رابعاً: خصوصيَّتها في أسلوبها؛ وذلك أنَّ سورةَ الفاتحة اختصَّت بأنها السورةُ الوحيدة في القرآن التي يوجَّه فيها الخطابُ من العباد إلى ربِّهم، أما سائر سُوَرِ القرآن فإنَّ أسلوبَ الكلام فيها موجَّهٌ من الله تعالى إلى العباد. وذلك تعليمٌ من الله عز وجل لعباده كيف يُثْنون عليه، ويتقرَّبون إليه، تفضُّلاً منه سبحانه، وتكريماً لهذا الإنسان وإعزازاً.

❁ أسماء سورة الفاتحة

إنَّ أسماءَ السُّوَرِ ثابتةٌ بالأحاديث والآثار عن رسول الله ﷺ. وقد ورد لبعض السور أسماءٌ عديدة. وكثرةُ الأسماءِ تدلُّ على شرف المُسمّى لأن هذه الأسماء هي أوصافُ مديحٍ للمُسمّى. ومن أسماء الفاتحة:

الفاتحة: لأنه تُفتتح بها قراءة القرآن الكريم، وتفتتح بها الصلوات، ولأن هذه السورة مفتاح أبواب الخير في الدنيا والآخرة.

أم القرآن: وأمُّ الشيء أصله، وكل معاني القرآن الكريم التفصيلية ذُكِرَت أُصولُها في الفاتحة. عن أبي هريرةَ رضِيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحمدُ لله أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبْعُ المثاني» (٤٢١٣ سنن الترمذي، ٥/ ٧٩٢).

الشفاء: عن عبدالملك بن عُمَيْر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في فاتحة الكتاب شفاءٌ مِن كلِّ داء» (٧٣٣ سنن الدارمي، ٢/ ٨٣٥).

الرقية: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسيرٍ لنا، فنزلنا، فجاءت جاريةٌ فقالت: إنَّ سيِّدَ الحيِّ سليمٌ، وإنَّ نَفَرنا غُيَّبٌ (أي أنّ رجالنا غائبون)، فهل منكم راقٍ؟ فقامَ معها رجلٌ ما كنّا نأبِنُه (نظنّه يُحسِن) برقيـةٍ فرقاهُ فبَرأَ، فأَمَرَ لنا ثلاثين شاةً وسَقانا لبناً. فلمّا رجعَ قُلنا له: أَكُنتَ تُحسِنُ رقيةً أو كنت تَرقي؟ قال: لا، ما رَقيتُ إلا بأُمِّ الكتاب. قلنا: لا تُحدِثوا شيئاً حتى نأتِيَ أو نَسأَلَ النبيَّ ﷺ، فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية؟ اقسِمُوا واضربوا لي بسَهْمٍ» (٧٠٠٥ فتح الباري، ٩/ ٤٥).

❁ تفسير سورة الفاتحة

ابتدأَتْ هذه السورةُ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

ٱلْحَمْدُ : هو الثناءُ الكامل باللسان مع قَصدِ التعظيم والتبجيل، على النِّعَم الماضية والحاضرة والمستقبَلَة الواصلة إليكَ أو إلى غيرك.

لِلَّهِ : أي أنَّ الله تعالى هو وحدَه المستحق لأن يُحمَدَ.

رَبِّ : الذي يتعهد مخلوقاته كلها بنِعَمِهِ؛ فهو سبحانه أَوْجَدَهُم، ثم أمدَّهُم بما يحتاجون إليه.

ٱلْعَٰلَمِينَ : هم جميع المخلوقات كافة.

يثني العبد على ربِّه سبحانه وتعالى بقلبه، ولسانه ملؤه الشكر لله عز وجلَّ على نعمه على مخلوقاته من ملائكة، وإنس، وجنٍّ، وطيور، وحيوانات، ونباتات وغيرها المبثوثة في السماوات والأرض؛ يمدُّها ربُّها عز وجل، مِن أصغر ذرّة إلى أعظَم مجرَّةٍ، بما تحتاج إليه حتى تؤدّي دورها في هذا الوجود، ولو توقّفت نِعمَةُ الله تعالى عنها لحظة لهَلَكَت.

والمؤمنُ يدركُ عِظَمَ نِعَمِ الله تعالى. فالله عز وجل رعاهُ في بطن أمه جنيناً، ثم رضيعاً، ثم طفلاً، ثم شاباً، ثم عجوزاً.

والمؤمن يحمدُ الله تعالى على نِعَمِهِ كلّها سواء تلك التي وَصَلَتْ إليه أو تلك التي وصلت إلى غيره من المسلمين لأنَّ شأنَ المؤمن أن يُحبَّ الخيرَ للناس ويكره الشرَّ لهم.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتى

يُحِبَّ لأَخيه ما يُحِبُّ لنفسه» (٣١ فتح الباري، ١/ ٦٥).

واجب الحمد

إنَّ نِعَمَ الله تعالى على عبده كثيرةٌ متتابعةٌ. لا تنقطعُ عن العبد في جميع أحواله؛ في صَحْوِهِ ونَوْمِهِ، في صحَّتِـهِ ومَرَضِهِ، وفي غِناهُ وفَقرِهِ. وقد اهتَدَتِ العقولُ السليمة إلى أنَّ الواجبَ يدعونا إلى شُكرِ مَن أَحسَنَ إلينا، فكيف بمن كان إحسانُـهُ محيطاً بنا على الدوام؟

واجب الحمد في كل حال

الواجبُ على العبد أن يَحمَدَ الله تعالى في جميع أحواله وذلك لأن حالَ العبد في الدنيا بين أمرَيْن:

الأول: أن يكون في سلامةٍ وعافية وسعادة؛ وهذه إنّما وَصَلَت إليه من الله تبارك وتعالى فَوَجَبَ أن يحمدَهُ عليها.

الثاني: أن يكون في مكارهَ ومصائبَ؛ فإن كانت هذه من العباد فقد وعد الله تعالى أن ينتصف للمظلومين من الظالمين في يوم الدين، وإن كانت من الله تعالى فالله عز وجل وعده بالثواب الجزيل عند الصبر على المكاره.

آثار الحمد ومنافعه

حَمْدُ الله تعالى ينفعُ العبدَ من نواحٍ متعدِّدة. منها:

١ ـ أنه سببٌ لنيلِ رضوان الله عزَّ وجلَّ: عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ:

قالَ رسولُ اللهﷺ: «إنَّ الله لَيَرضى عنِ العبدِ أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيَحمَدَه عليها أو يشْرَبُ الشُّرْبَةَ فيحمَده عليها» (٣٣٧٢ صحيح مسلم، ٤/ ٥٩٠٢).

٢ ـ أنهَ سببٌ لبقاء النِّعمَةِ وزيادتها: قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧ ﴾ إبراهيم: ٧

٣ ـ أنهَ سببٌ لنَيْلِ الأجرِ العظيم مِن الرَّبِّ الكريم: عن أبي مالكٍ الأشعريِ رضي الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان والحمدُ لله تَمْلأُ الميزان» (٣٢٢ صحيح مسلم، ١/ ٣٠٢).

٤ ـ أنهَ مِن أفضلِ الدعاء: عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أفضلُ الذِّكر: لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاء: الحَمْدُ لله» (٣٨٣٣ سنن الترمذي، ٥/ ٢١٤).

وإذا كان الحمدُ على النعمة لا يتمُّ إلا بعد معرفة تلك النّعمة ، فان نعمة الله لا تحصى كما قال تعالى: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤ ﴾ إبراهيم: ٣٤. ولذلك مهما بذل العبد من جهد في الثناء على الله تعالى شكراً على نعمه فإنه يظل عاجزاً عن إيفاء الله تعالى حقّه من الحمد؛ ولذلك يعترف بعجزه هذا فيقول كما قال سيد المرسلين ﷺ مخاطباً ربه: «لا أُحصي ثناءً عليكَ» (٦٨٤ صحيح مسلم، ١/ ٢٥٣).

الرحمة هي التخليص من الآفات، وإيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات. وأنواع الآفات التي يمكن أن يتعرض لها كل مخلوق لا يمكن إحصاؤها. والله سبحانه وتعالى وحده القادر على تخليص عباده منها كلِّها.

ثم إن الله تعالى تفضُّلاً منه ورحمة، يُوصِلُ جميعَ الخيرات إلى عباده ويحوطهم بأسباب رعايته. وبين الحين والحين يكتشف الإنسان شيئاً جديداً مِن لُطفِ الله تعالى به وإنعامِهِ عليه.

الرَّحْمنُ والرَّحِيمُ صفتان لله تبارك وتعالى، وفرَّق البعض بينهما فقال: «الرحمن تدلُّ على عموم النِّعَم أو جلائل النِّعَم كنعمة الإيمان». أما الرحيم فتدلُّ على خصوص الرحمة بالمؤمنين أو النِّعَم التي يقدر عليها الخَلْقُ كرزقِ العبدِ مِلْحَ طعامه.

مظاهر رحمة الله تعالى

تظهر رحمةُ الله تعالى في أمورٍ تكرهُهَا النَّفْسُ، ومثاله:

١ ـ في فرض التكاليف؛ شرع الله تبارك وتعالى التكاليفَ الشرعية مِن حلال وحرام بقصد تطهير الأرواح عن الانغماس في الشهوات الدنيوية. وتطهير النفوس عن الشهوات فيه رحـمةٌ لأنه يخفف العذاب أو يقي منه.

٢ ـ في إنزال المصائب؛ خلق الله تعالى المصائب لتكفير السيئات عن عباده المؤمنين، ولرفع درجاتهم. ولذا يُؤمر الإنسان بالصبر عليها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾ الزمر: ١٠

٣ ـ في خَلْقِ الموت؛ وقد خلقه الله تعالى راحةً للمؤمن من تكاليف الدنيا وبوابةً للجنة والرضوان.

٤ ـ في خَلْقِ النار؛ لأن الخوف منها يردعه عن معصية الله تعالى. ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بسعة رحمة الله عز وجل؛ فبقدر ما عند الله تعالى من الرحمة، عنده من العذاب. وفي الحديث: «عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: لو يعلَمُ المؤمنُ ما عندَ الله من العقوبةِ ما طَمِعَ بجنَّتِهِ أَحَدٌ، ولو يعلَمُ الكافرُ ما عندَ الله من الرحمةِ ما قَنَطَ مِن جنَّتِهِ أَحَدٌ» (٥٥٧٢ صحيح مسلم، ٤/ ٩٠١٢).

كما تظهرُ رحمةُ الله تعالى في أمور تُحبُّها النفس، ومنها:

١ ـ بَعْثُ الرُسل وإنزالُ الكتب السماوية؛ فقد رَحِمَ الله تعالى عبادَهُ فما تركَهُم يعيشون في الضَّلالات والحيرة والمعاصي؛ بل أَرسلَ إليهم رُسُلاً، وأَنزَلَ عليهم كتباً لهدايتهم إلى طريق الصلاح والفلاح الذي يحقِّقُ لهم خَيْرَ الدنيا والآخرة.

٢ ـ هداية العباد إلى الأبواب التي تُكسِبُ رضوانَهُ ومحبّتَهُ وجنّتَهُ وترغيبهم فيها وتبيان الأبواب التي تُكسِبُ سَخَطَهُ وعذابَهُ وغضبَهُ، وتحذيّرهم منها.

٣ ـ فتح أبوابَ التَّوبَـةِ؛ فمن اقترفَ من عباده ذنباً دَلَّهُ على طريق الخلاص مِن تَبعاتِهِ بالتوبةِ والاستغفار، ووَعَدَهُ بقبولِ التوبَةِ والمَغفرَةِ على زلَّتِهِ.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾

يومُ الدين هو يومُ القيامة حيث يبعثُ الله تعالى العبادَ ليُحاسِبَهُم عما فَعَلوه في الدنيا.

الله تعالى خالقُ الوجودِ كلِّه، ومالِكُهُ. وتخصيصُ مُلكِهِ بيومِ الدين للإشارةِ إلى أهمِّيَّةِ ذلك اليوم. والإقرارُ بأنَّ الله تعالى مالكُ يومِ الدِّينِ يتطلَّبُ من العبدِ معرفةَ جانبَيْن:

الجانب الأول: معرفةُ النفس التي ستُحاسَبُ ، بمعرفةِ صفاتِها، وأحوالِها، وأسبابِ سعادتِها وشقائها.

الجانب الثاني: معرفةُ أحـوالِ القيامة بمعرفةِ علاماتِ الساعة وأهوالِها، وأحداثِ القيامة، وأهوالِ الموقف، ومصيرِ أهلِهِ، وصفةِ الجنةِ وأهلِها والنارِ وأهلها. وإذا تعرَّفَ العبدُ على هذَيْن الجانبَيْن تولَّدَ عنده الخوفُ والرجاء.

ـ الخوفُ من الله تعالى، وسَطوَتِهِ وغضبِهِ، والخوف من أهوالِ الآخرة.

ـ الرجاءُ في الله تعالى، والطَّمَعُ في رحمتِهِ وعفوه وسترِهِ وكَرَمِهِ، والشوقُ إلى الجنة.

وخوفُ العبد ورجاؤُهُ يدفعانه إلى البُعدِ عمَّا حَرَّمَ الله تعالى والجدِّ في

العمل بما أَمَرَ ورغَّب فيه.

الحكمة من يوم الدين

جعل الله تعالى يومَ القيامة لينال كلُّ إنسانٍ جزاءَهُ العادل، إذ لا يستقيمُ في العقل أن يتساوى المُحسِنُ والمُسيء. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ۝٣١ ﴾ النجم: ٣١

وللأيمان بيوم الدين أثره الكبير في استقامة سلوك الإنسان، لأنه متى أيقن الانسانُ أنَّ الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على أفعاله فيكافئه أو يعاقبه، فانه سيقضي حياتَهُ في خيرٍ ومعروفٍ وإحسان، وسيبتعد عن الشر والأذى والإضرار بالغير.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾

العبادةُ هي الإتيانُ بالفعل المأمورِ على سبيلِ التعظيمِ للآمرِ والتذلُّلِ له.

عبادةُ الله تعالى هي الامتثالُ لأمرِهِ ونَهْيِهِ. فما أَمَرَ به يُنفَّذ ولو كان أداؤُهُ لا يُحقِّقُ شَهوَةَ النَّفسِ ولذَّاتِها، وما نَهى عنه يُجتَنَب، ولو كان في تَركِهِ حرمان للنفسَ من لذاَّتها وشهواتها. والعبادةُ تكون بتعرف الإنسان على التكاليفِ الشرعيةِ التي أمر بها الله تعالى والتزامها حتى يكونَ قولُهُ في تلاوته ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ موافقاً لحالِهِ.

درجات العبادة: يقولُ العلماءُ إنَّ العبادةَ على درجات:

أدناها: أن يَعبُدَ الإنسانُ ربَّه تعالى خوفاً من عذابه وانتقامه؛ وتلك عبادَةُ الخائفينَ.

أَوسَطُها: أن يَعبُدَ الإنسانُ ربَّه تعالى رغبةً في نعيمِهِ وجنَّتِهِ؛ وتلك عبادَةُ الرّاغبينَ.

أعلاها: أن يَعبُدَ الإنسانُ ربَّهُ تعالى لا رَغَباً ولا رَهَباً، ولكن لأنَّ الله تبارك وتعالى أَهْلٌ لأَن يُعبَدَ.

الاستعانةُ: هي طَلَبُ ما يُعين العبدَ على الفِعلِ أو ما ييسرُ عليه ذلك.

الحاجة إلى الاستعانة

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يَحُثُّ العبدَ على عمل الخير ويهديه إليه، وهو الذي يهيئ له الأسباب التي تسهِّلُ قيامَهُ بالعمل ويزيل من طريقه الموانع التي تحول دون ذلك. من هنا فإن العبد يَطلُبُ مِن ربِّهِ أن يُعينَهُ على العبادةِ، كما يسأله أن يعينه على تدبيرِ شُؤونِ حياتِهِ كلها.

ومعنى الآيةِ أنّنا نتوجَّهُ إليكَ وحدَكَ، يا ألله، بالعبادةِ؛ فلا نَعبُدُ معكَ أحداً، ونَطلُبُ عَوْنَكَ وَحدَكَ في الأُمور كلِّها سواءَ كانت أُمورَ الدين أو أُمورَ الدنيا، سهلةً كانت أو صعبة. وقد جاءَ فِعْلا العبادةِ والاستعانَةِ بصيغةِ الجَمْعِ لا بصيغةِ المُفرَدِ لتشمل القائل وسائر المؤمنين. وأما صيغةُ المضارعَةِ (نَعبُدُ ونَستَعينُ) فلتبيان استحقاقِهِ تعالى العبادةَ على الدَّوام، وحاجتنا الدائمة للاستعانة به.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

ٱهۡدِنَا: الهداية هي الدلالة بلطف.

ٱلصِّرَٰطَ: الطريق.

ٱلۡمُسۡتَقِيمَ: الذي لا اعوجاج فيه.

أي دلَّنا يا ربَّنا على الصراط المستقيم، وأَرشِدْنا إليه، وأَرِنا طريق هدايَتِكَ الموصِلَةَ إلى قُربِكَ وجنَّتِكَ.

وتتحقَّقُ الهدايَةُ الربَّانيَّةُ عبر درجات:

الأولى: حصولُ الاستقامَةِ على امتِثالِ أَوامِرِ الله تعالى، واجتناب نواهيه.

الثانية: الثباتُ على هذه الهداية؛ إذ الحصولُ على الشيءِ أمرٌ، وبقاءُ هذا الشيء أمرٌ آخر.

الثالثة: الزيادةُ في الهدايـة؛ إذ هي قابلةٌ للزيادَةِ والنُّقصان. قـال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ ﴾ محمد: ١٧

الرابعة: التَّرقّي في الهدايةِ والانقيادُ الكامل لها، حتى يصيرَ أَمرُ الله عز وجل مُقدَّماً على كل شيءٍ في الوجود.

ولذا يكرِّر المسلمُ تلاوةَ سورة الفاتحة كثيراً رجاءَ نَيْلِ الخير والثواب.

وتتمثَّلُ هدايةُ الله تبارك وتعالى لعباده في أمورٍ أربعة:

١ـ منح القِوَى التي تمكِّنُهُم منَ الاهتداء كالعقل والحواس والمشاعر.

٢ـ نَصْبُ الدلائلِ على وُجودِ الله وقُدرَتِهِ وصِفاتِهِ. وفي كلِّ مخلوقٍ

أدلّةٌ على قُدرَةِ الله تبارك وتعالى.

٣ ـ إرسالُ الرُّسُلِ، وإنزالُ الكُتُبِ وآخرها وأشملها القرآن الكريم كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩

٤ ـ الكشف على قلوبِهم وتبيان الأشياءَ على حقيقتها لا كما تَظهَرُ، فيهتدون بهداية الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩

فيصيرُ العبدُ كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «كنتُ سَمعَهُ الذي يَسمَعُ به وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به» (٦٥٠٢ فتح الباري، ١١/ ٣٤٠).

يُلاحَظ مِن أوَّلِ السورة إلى هنا ثناءٌ على الله تعالى، ثم تضمَّنَت هذه الآيةُ طَلَبَ الهداية؛ وفي ذلك تعليمٌ للعبد أَدَبَ السؤال لله عز وجل، وذلك بأن يبدأَ دعاءَهُ بالثناء على الله عز وجل، ثم يَشرَعَ بطلب حاجته.

والصراطُ المستقيمُ هو المنهجُ الصحيحُ الذي ارتَضاهُ الله تبارك وتعالى لعباده، والمُتمثِّلُ في هذا الدّين الذي قال الله عزّ وجلّ فيه:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣

والفِطرةُ السليمةُ التي فَطَرَ الله تعالى الناسَ عليها تهدي إلى الإسلام لكنها فَسَدَت بفعل رياح الأهواءِ وسمومِ العقائدِ والأفكار. وفي الحديث القدسي الشريف: «إني خَلَقتُ عبادي حُنَفاءَ كلَّهُم. وإنهم

أَتَتْهم الشَّياطينُ، فاجتالَتْهُم عن دينهم، وحرَّمَت عليهم ما أحلَلْتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يُشركوا بي ما لم أُنْزِل به سُلْطاناً» (٥٦٨٢ صحيح مسلم، ٤/ ٧٩١٢). ولمّا كان الإنسان عُرضَةً في أيِّ لحظةٍ للفسادِ والإغـواءِ والإضلال فإنه بحاجةٍ ماسَّة إلى أن يَسأَلَ الله تعالى أن يثبِّته على صراطِهِ المستقيم وهو ما يدعو به ويَطلُبُهُ عندَ تلاوةِ سورة الفاتحة.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ :هم المذكورون في قول الله عز وجلَّ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾

والنِّعمَةُ تَستَوجِبُ الشُّكرَ، ولكنَّ الناسَ نوعان:

الأول: نوعٌ يقتصرُ على شُكرِ النِّعَمِ الواصِلَةِ إليه.

الثاني: نوعٌ يَشكُرُ على النِّعَمِ الواصِلَةِ إليه وإلى غيره؛ وهؤلاء أكمَلُ إيماناً وأرفَعُ درجَةً عند الله تعالى.

والشاكرون لله تعالى نوعان:

ـ نوعٌ يَقصرُ شُكرُهُ لله تعالى على النِّعَم.

ـ ونوعٌ يَشكُرُ الله تعالى على نِعَمِهِ وعلى نِقَمِهِ. فأمَّا الشُّكرُ على النِّعم فواضحٌ، وأما الشُّكرَ على النِّقَمِ فكما يقول عمر رضي الله تعالى عنه:

أولاً: لأنه لم يكن البلاءُ النَّازِلُ في الدِّين.

ثانياً: أنه لم يكن أكبَرَ مِن ذلك.

ثالثاً: أنَّ الله تعالى أَعانَهُ فَصَبَّرَهُ.

رابعاً: أنَّ الله تعالى يُكافِئُهُ على صَبرِهِ يومَ القيامة؛ فيكون البلاءُ حينئذ نِعْمَةً للعبدِ والعبدُ يشكرُ ربَّهُ على النِّعَم.

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

غضب الله تعالى هو غضب يليقُ بجلاله عزَّ وجلَّ يُصيب الذين يسلكون سبيلاً مخالفاً للصراطِ المستقيم.

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: الذين خالفوا شريعة الله مع علمهم بها.

ٱلضَّآلِّينَ: الذين خالفوا شريعةَ الله مع جهلهم بها.

آمين: اللهمَّ استَجِبْ. وهذه الكلمةُ ليست مِنَ القرآن الكريم. وفي فضلها نذكر ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا قالَ الإمامُ: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّالِّينَ، فقولوا: آمين، فمن وافقَ قولُهُ قَوْلَ الملائكةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ» (٥٧٤٤ فتح الباري، ٨/ ٩٥١).

لو أن المسلم المحافظ على صلاته، بفرائضها وسننها، حسب كم يقرأ سورة الفاتحة لوجد أنّه يقرأها حوالي اثني عشر ألف مرة في السنة، وحوالي نصف مليون مرة في عمره، إذا واظب على الصلاة أربعين سنة، هذا عدا عن قراءتها للتبرّك، والدعاء، ولطلب الشفاء، وغيره من قضاء الحوائج.

إنَّ تلاوة الفاتحة هذا العدد الفائق يستحق منّا أن نُعنى بها عنايةً تستحقها هذه المواظبة اليومية.

من هنا، رأت جماعة عباد الرحمن أن تضع بين يديك أخي المسلم هذا الكتيب المبسّط في تفسير هذة السورة الجليلة المباركة سائلين الله عزّ وجل أن يجعل فيه النفع و القبول.

إن مطبوعات العباد هي مرخصة بالقرار رقم «٥٣»
تاريخ ١٧/٢/١٩٧٩ الصادر عن وزارة الإعلام
الناشر: جماعة عباد الرحمن - بيروت
ص.ب ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
هاتف: ٠١-٦٥٤٠٨٨/٨٩
الموقع الإلكتروني: www.ibad.org.lb
البريد الإلكتروني: central@ibad.org.lb